ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

**Dr. Aya Ihsan Sadiq**

**University of Diyala / College of Education for Humanities**

**Email:** aya.arv.hum@uodiyala.edu.iq

***Keywords:***

**Idha Ma , expression , grammatical , semantic**

**Article info**

***Article history:***

Received 28.Sep.2025

Accepted 5.Nov.2025

Published 10.Febr.2026

# The structure of (idh ma) in Quranic expression A grammatical and semantic study

A B S T R A C T

Abstract:Quranic expression is an intentional artistic expression. Every word, indeed every letter, is placed in a specific manner, achieving an intentional meaning. Neither the verse alone nor the surah alone is considered, but rather the entire expression is considered. This is because the Quranic vocabulary contributes to clarifying the beauty of the rhetorical image, and it constitutes an important element of visual beauty, as it represents the link between the meaning and its sublime aesthetic expression. Thus, the phrase "if" in the miraculous text is distinguished by its beautiful rhythm, emphasis, suspense, and surprising imagery. It achieves lofty rhetorical objectives that are commensurate with the majesty and grandeur of the event within the context.

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

**DOI:** https://doi.org/10.31185/eduj.Vol62.Iss1.4771

# تَركِيبْ (إذَا مَا) في التّعبير القرآنيّ دراسة نحويّة دلاليّة

**م.د. آية إحسان صادق جعفر**

**جامعة ديالى ـ كليّة التّربية للعُلوم الإنسانيّة**

**الخلاصة:**

إنّ التعبير القرآنيّ تعبيرٌ فنّيّ مقصودٌ، فيهِ كلُّ لفظةٍ، بل كلُّ حرفٍ فيه وُضِعَ وضَعًا فنيًّا ذا دَلالة قصديّة، لَم يراعِ الآيةُ وحدها، ولا السّورة وحدها، بل يُراعي فيه التعبير كلّه؛ لأنّ المفردة القرآنيّة أسهمتْ في تَبيينِ جَمالِ الصّورة اللغويّة ، فكانت عنصرًا مهمًا من عناصر الجمال البصريّ؛ إذ إنّها تمثّل حلقة الوصل بين المعنى، وبين وصِلتِه بصورة جمالية رفيعة، وبهذا فإنّ تعبير (إذا ما) في النصّ المعجزّ تميّز بجمالِ الإيقاعِ والتّوكيدِ والتّشويق والتّصوير المُفاجئ، وخرج بأغراض نحويّة ودَلاليّة وبلاغية عالية تتناسبُ مع هيبة الحدث، وعظمته في السّياق.

**الكلمات المفتاحية:** تركيب، إذا ما، التعبير، نحويّة ، دَلالية

**المقدّمة**

من الطبيعي أن تكون كلّ مفُردات القرآن الكريم تحت عنوان مناسبة المقام؛ ذلك لأنّ نظمه المُعجز يتضمّن كلمات لا تكون نافرة مُتَقلّعةً في مكانها، ولا تكون حشوًا يستغنى عنها، ولهذا فإنّ اختيار تركيب ما، أو مفردة من المفردات، لابدّ من تعيين مناسبة المقام، أو تخصيص الدَّلالة اللغويّة، يُحقّق ذلك إيحاءً نفسيًا أو توسّعًا في ظلال الدَّلالة اللغويّة، والمفردة تكون عادية إذا ما جاءت في النصّ المعجز وجدنا لها معنى آخر، وتأثيرًا لا يمكن معرفته ضمن حدودها الطبيعية المتعارف عليها.

ومن جمالية المفردة أو التركيب النّحويّ الذي جاء في القرآن الكريم، ألا وهو تركيب (إذا ما)، إذ يُعد من التراكيب ذات الدَّلالة الخاصّة؛ لما له من أثر في المعنى والسّياق ، يُستعمل لإفادة التعليق بين أمرين، الأول يُعلّق عليه الثاني من حيث الوقوع أو التحقّق، لهذا يدخل في باب المعاني الدقيقة، والأساليب التي تسهم في تصوير الواقع، أو التوقّع، أو التهديد والتقرير، وسأقف على هذا التركيب من محورين:

**أولًا: تركيب (إذا ما) بنيته ودَلالتّة العامة:**

قبل الولوج في الآيات التي ضمت (إذا ما) لابدّ من معرفه أنّ (إذا) وردت في القرآن الكريم كثيرًا، وجاءت بعد (ما) في اثني عشرَ موضعًا، فذهب النحويون إلى أنّ (إذا) اسم من أسماء الزمان، ومعناها المستقبل، وهي مبنية لإبهامها في المستقبل وافتقارها إلى جملة توضّحها وتبيّنها، كما كانت الموصولات، ومتضمّنة معنى الشرط، فبُنيت كبناء أدوات الشرط؛ لما تضمّنته من معنى الجزاء، ولم يقع بعدها إلّا الفعل، ويكون معلومًا، أي بمنزلة (الحين)، كأنك قلت: ((الحين الذي تأتيني فيه آتيك فيه)) (سيبويه، ١٤١٥هـ، ٣/٢٦٠)، (ابن يعيش، ٢٠٠١، ٤/٩٧).

وأمّا (ما)، فهي زائدة أو مزيدة بعدها للتوكيد؛ قياسًا على قاعدته (الزيادة في الكلام تفيد التوكيد)، وأثبت ذلك المالقي (ت٧٠٢هـ)، قائلًا: ((أنْ تكون زائدة، وأنواعها في هذا الموضع تَتَشَعَّبُ، لكن تنحصر في أربعة أقسام: قسمٌ يكون دخولها كخروجها، وقسم يلزم في اللفظ، وقسم تكفّ عن عمل (ما) تدخل، وقسم توطّئ لدخول ما تتصل به للدخول على ما لم يكن له دخول عليه.

القسم الأوّل: أنْ تقع بعد (إذا) الظرفية جائزة قياسًا، نحو: (إذا ما قمتَ أكرمتُك، واذا ما جلست أجلس)، قال الشاعر (المرزوقي، ٢٠٠٣، ١/١٣٤):

**إذَا مَا أتيتَ الحارِثِيّاتِ فانْعَى لَهـنَّ وَخَبّــرِهُنَّ أَلّا تَلاقيــا))**(المالقي، ٢٠٠٢، ٣٨٢)

أي أقرّ بزيادة (ما) بعد (إذا) الظرفية، وتبعه في ذلك ابن هشام (٧٦١هـ)، إذ ذكر أنّ (ما) تُزاد بعد أداة الشرط الجازمة، نحو قوله تعالى:- قال تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ**﴾ «**النساء ٧٨**» ، أو غير جازمة، نحو **قوله تعالى:** ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ «**فصلت ٢٠**» (ابن هشام، ١٩٨٥، ١/٤١٣).

ومعنى التأكيد في (ما) أنّ وقت مجيئهم هو لنار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم، ولا وجه لأن تخلو منها، **ومنه قوله تعالى: قال تعالى:** ﴿**أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ «**يونس ٥١**»، أي لا بدّ لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به (الزمخشري، (د. ت)، ٤/١٩٥).

فـ (ما) أفادت توكيد معنى (إذا) من الارتباط بالفعل الذي بعدها، ولو كان التركيب بغير (ما)، كان بلا شكّ حصول الشرط من غير تأخّر؛ لأنّ أداة الشرط ظرف، فالشهادة واقعة فيه لا محالة، وفي الكلام حذفٌ، والتقدير: (حتّى إذا ما

جاؤوها)، أي: النّار، ويسألوا عمّا أجرموا فأنكروا، فشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما اكتسبوا من الجرائم، وكانوا يحسبون أن لا شاهد عليهم (الآلوسي، ١٤١٥، ١١٥/٢٤)

نستنتج من ذلك أنّ تركيب (إذا ما)، يجمع بين أداة ظرفية شرطية (إذا )، و(ما) زائدة، التي تُضيف بعدًا دلاليًا، ومن حيث التوكيد، أو الشّمول، أو التنويه، ويُعدّ هذا التركيب من التراكيب الخاصّة، التي أثبتها القران الكريم بدقة عالية؛ لتحقيق وظائف معنوية وبلاغية، وسيتم معرفه ذلك في تحليل الآيات الكريمات.

**ثانيًا: المعاني الدَلاليّة لتركيب (إذا ما)، في ضوء السّياق القرآنيّ:**

أقف في هذا المحور على استقراء الآيات التي ورد فيها التركيب أعلاه، وتحليله من الناحية السّياقية والدَلاليّة ؛ للكشف عن الوظائف التي يؤدّيها هذا التركيب داخل النَّظْمِ القرآنيّ، وبيان أثره البلاغي والمعنوي، ومن ذلك **قوله تعالى:** ﴿ **وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ** ﴾ **«البقرة ٢٨٢».**

إنّ المُنعم بالنظر إلى سياق الآية الكريمة، يراه محملًا على أمر الشهادة، وهو أمر إيجاب، وإنّ سبب النزول كان رجلٌ يطوف في الحراء العظيم فيه القوم فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم، فأنزل الله هذه الآية المباركة (الثعلبي، ٢٠٠٢، ٢٩٥/٤).

فنزولها دلّ على أنّه ((يجب على كل من كان شاهدًا الذهاب إلى موضع أداء الشهادة، إذ يُحرّم عليه عدم الذهاب إلى أداء الشهادة، فلمّا دلّت الآية على أنّ كلّ من كان شاهدًا وجب عليه الذهاب، الاجماع دلّ على أنّ العبد لا يجب عليه الذهاب، فوجب أن لا يكون العبدُ شاهدًا، وهذا الاستدلالُ حسنٌ)) (الرازي، ١٤٢٠، ٩٤/٧).

أي إذا أُعلِم الشاهدَ أنّ الحقّ يذهبَ ويتلفُ بتأخّره عن الشهادة، فوجب عليه القيام بها، لا سيّما إن كانت مُحصّلة، وكان الدعاء إلى أدائها، فإنّ هذا الظرف آكد؛ لأنّها قلادة في العنق، وأمانة تقتضي الأداء (القرطبي، ٢٠٠٣م، ٣٩٨/٣).

و(إذا ما دُعوا)، ظرف لـ (يَأْبَ)، أي: لا يمتنعون في وقت دعوتهم لأدائها، أو لإقامتها، إذ يجوز أن تكون (متضمنة للظرف)، ويجوز أن تكون (شرطيةً)، والجواب محذوف أي: إذا دعوا فلا يأبوا (الحنبلي، ١٩٩٨، ٤٩٦/٤).

ويتّضح ممّا ذكر من أسباب النزول أنَّ الآية المباركة دلّت فيها (ما) على تأكيد معنى التحذير من الانحراف بالشهادة، أو الإعراض عنها أو كتمانها، أي: التنبيه على التأكيد بأنَّ الشاهد ينبغي لهُ إذا ما دُعي ابتداءً عليه أن يجيب (الزجاج، ١٩٨٨، ٣٦٥/١)، (الحنفي، (د.ت) ٤٤١/١).

**– قال تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ «المائدة ٩٣».**

من المعروف أنّ سياق الآية الكريمة سياق محرمات الخمر، الميسر، الأنصاب، مطعمو الصيد في وقت الإحرام، وسبب النزول مقترن بسؤال المسلمين الرسول الأكرم (ﷺ) كيف بإخواننا المؤمنين الذين ماتوا وهم يشربونها (النحّاس، ١٤٠٩، ٣٥٨/٢).

فجاء تركيب (إذا ما) للمستقبل عن وقت نزول الآية في حق القائلين والتقوى لامتثال المأمورات واجتناب المنهيات، لذلك عطف (وعملوا الصالحات) على (اتقوا) من عطف العام على الخاص لغرض الاهتمام، وأمّا عطف (آمنوا) على (اتقوا) فهو اعتراض للإشارة إلى أنَّ الإيمان داخل التقوى، وبهذا فإنَّ المقصود من التركيب هو كالشرط والتنويه بالتقوى والعمل الصالح، وليس المقصود أن ينفي الجناح عنهم

وجملة (اتقوا)، (آمنوا) تأكيدًا لجملة (إذا ما اتقوا) وقرنت حرف العطف (ثم) الدّال على التراخي ليكون إيماءً إلى الازدياد بالتقوى ليحقق التأكيد كما جاء **في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ «النبإ ٤-٥»** ، ومن دَلالة الإعجاز الواضحة لم يتم تكرير لفظة (الصالحات)؛ لأنَّ عمل الصالحات شمول للتقوى (الشوكاني، ١٤٢٤، ٨٥/٢)، (الأندلسي، ١٤٢٠، ٣٦٠/٤)، (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٣٥/٧-٣٦).

وعليه حُمِلَ التركيب على التوكيد والمبالغة في هذه الصفات عن طريق التفصيل بعد الإجمال، فقد أجمل التقوى والإيمان والعمل الصالح في الأولى، وجعل التقوى مع الإيمان في الثانية، ومع الإحسان في الثالثة. وهذا التوكيد مقصود للاتكاء على معنى النظم المعجز (سيد قطب، ١٤١٢، ٩٨٧/٢).

أي أنَّ الآية عالجت شبهة خطرت في أذهان بعض الصحابة من بعد تحريم الخمر، فأجابهم القرآن بلغة تجمع بين الطمأنينة والدعوة للارتقاء الإيماني.

وظف السّياق لإيضاح الآية الكريمة بشكل بلاغي بديع وفيه ثلاث إشارات إيمانية تدريجية، أولها: الإقلاع عن المحرم بعد تحريمه والأخرى: مرحلة تثبيت الإيمان والتقوى في تفاصيل الحياة اليومية، والأخيرة مرحلة الإحسان وهي قمة المراتب الإيمانية أي تعبد الله كأنك تراه، وهذا التدرج اصطحب بالأداة (ثم) لأنَّ كلّ درجة (أي مرحلة) يحتاج إلى زمن وتربية ومجاهدة، كما في المخطط أدناه:

**تقوى + إيمان + عمل صالح ← تقوى راسخة**

**تقوى راسخة + إيمان أعمق ← تقوى احسانية**

**تقوى راسخة + تقوى احسانية ← رضا الله ومحبته.**

- **قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ «التوبة ١٢٤»، وقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ «التوبة ١٢٧»**

– الآيتان تتحدثان عن فضح المنافقين وبيان حقيقتهم، إذ ذكر أبو جعفر: إذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه الأكرم سيدنا محمد (ﷺ) فهؤلاء المنافقون يقولون: أيها الناس أيكم زادته هذه السورة إيمانًا، وفي قوله :(( **وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ** ))إنّ الله (عزّ وجلّ) وصفهم فيها ينظر بعضهم إلى بعض ثم قاموا وانصرفوا من عند رسول الله ولم يستمعوا إلى قراءة السّورة التي فيها معايبهم (الطبري، ٢٠٠٠، ٤٧٨/١٤)، (السمرقندي، (د. ت)، ١٠٠/٥).

أي أنّ نزول السّور يكشف على أنّه امتحان إيماني ونتيجة هذا هو فضح النوايا. ولهذا جاء التعبير بـ (إذا ما) بدلًا من (إذا) فقط، لأنَّ (ما) تعطي تقوية وتوكيد للظرف (إذا) فضلًا من أنّها تفضي على العبارة نغمة قرآنية مهيبة تناسب تكرار الحدوث، ولذلك تُوحي بأنَّ هذا الفعل (نزول السور) كثير الحدوث لكنهم لا يتعظون.

وفي السّياقين التركيب يُستعمل للتعبير عن تكرار الحدث وهو إنزال السور، مع بيان دور أفعال المنافقين عند كلّ مرة يُنزل فيها وحي جديد ففي الآية (١٢٤)، يظهر ردة فعل الناس عامة (منافقين، مؤمنين)، وفي آية (١٢٧)، يُظهر نظرات المنافقين عند سماع الوحي فصرف الله قلوبهم.

فالتركيب يكسب النصّ توكيدًا وعمقًا دَلاليًا في وصف حال المنافقين مع الوحي، فجاءت (ما) بعد (إذا) بكونها صلة مؤكدة على ممن يشكلون خطرًا على الإسلام، فكان التأكيد والتنبيه مناسبًا في هذا السّياق فكأن التركيب وضع للتنبيه والحذر من أقوالهم إذ هم يُبطنون الشر ويعلنون المودة (النيسابوري، ١٤١٥، ٣٩٥/١)، (القرطبي، ٢٠٠٣، ٨/ ٢٩٩).

ولذلك تكرار التعبير يُعزز من كشف الصادق عن الكاذب كما في جدول المقارنة أدناه:

| ت | العنصر | الآية (١٢٤) | الآية (١٢٧) |
|---|---|---|---|
| ١. | بداية الآية | (( إذا ما أنزلت سورة )) | ((واذا ما أنزلت سورة )) |
| ٢. | التّركيز | ردّة فعل جماعية، وسؤالهم أيكم زادته إيمانًا ؟ | تصرّف المنافقين في نظر بعضهم ...ثم انصرفوا |
| ٣. | غاية النّزول | اختبار الإيمان الحقيقي | كشف المنافقين وفضحهم |
| ٤. | النّتيجة | □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ | صرف الله قلوبهم |

**- قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ «يونس ٤٩»، و قوله تعالى تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ « يونس ٥١».**

عند النظر إلى النصّ القرآني نجد أنّ (إذا) جاءت مرتين بالسّياق مرة مصحوبة بـ (ما) والأخرى غير مصحوبة بها.

و الآيات التي ذكرت بها (إذا) من دون الاقترن ب ( ما ) خاصة بالحديث عن الأجل وهو أمر محتوم لا مفرّ منه بدليل: ((لكل قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم، فإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمالهم (لا يستأخرون) عنه (ساعة) فيهملون ويؤخرون، و(لا يستقدمون) قبل ذلك لأنَّ الله قضى أن لا يتقدم ذلك قبل الذي قدره وقضاه))(الطبري، ٢٠٠٠، ١٠٠/٥).

أمّا الموضع الذي اقترنت (إذا) بـ (ما) فكان الحديث فيه قائم على استعجال العذاب ثم الإيمان به والندم على ما فرطوا من الإيمان وهذا فيه وقفة وغرابة أي الاستفهام جاء للإنكار والتعظيم لأمر العذاب، وقيل تعجب من أمرهم عندما وقع العذاب يقولون: آمنا به الآن أي: ما الذي يستعجل به المجرمون ((أي شيء يستعجل به المجرمون))(الزجاج، ١٩٨٨، ٤/٣)، (الكرماني، (د. ت)، ٤٨٥/١).

وبهذا فإنَّ (ما) بعد (إذا) زائدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أنّ وقت مجيئهم النّار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها، أي لا بدّ لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به (الزمخشري، (د. ت)، ١٩٥/٤)، (الأندلسي، ١٤٢٠، ٢٨٩/٩).

**- قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ «الأنبياء ٤٥»** ، نزلت الآية الكريمة على قوم كفرة منكرين أشد الإنكار خاطبهم الرسول الأعظم وهو خطاب موجه من الله( عزّ وجلّ ) قل: لكفار مكة: إنما أنذركم بالوحي بما في القرآن من الوعيد، ولا يسمع يا محمد الصم الدعاء، وهذا ما ضربه الله (عزّ وجلّ) للكفار بأنَّ الأصمّ إذا ناديته لم يسمع فكذلك الكافر لا يسمع الوعيد (مقاتل، ١٤٢٣، ٨٢/٣)، (الطبري، ٢٠٠٠، ٤٥٠/٨).

جاءت الآية منبهة على حالهم بثلاثة منبهات أو بثلاثة توكيدات (ما )في (إنما)، و(إذا ما)، والصوت العالي المقرون بالنداء تشنيعًا عليهم بالإشارة إلى أنهم لا يهابون الإنذار ولو حذروا بأقصى عبارات التحذير ودرجاته ذكر ذلك الرازي (ت٦٠٦هـ)، على أنَّ ما تقدم من تكرار دلالة التنبيه يدلّ دلالة على أنَّ الغرض بالإنذار ليس السماع بل التمسك به والإقدام عليه واجب، فإذا لم يحصل هذا الغرض صار كأنّه لم يسمع (الرازي، ١٤٢٠، ٨٤٨/٢٢١).

كما أشار الخطاب بالدعاء وهو عبارة عن الصوت، والنداء بالكلام عادة يكون بأصوات عالية مكررة للفت الانتباه والتأكيد على الأمر (أبو السعود، (د. ت)، ٧٠/٦).

وعليه جاءت (ما) في هذا السّياق تأكيدًا وتنبيهًا على حال هؤلاء المنكرين الرافضين للسماع على الرغم من التوكيدات والتنبيهات التي قرن بها السّياق ولهذا أنّ سبب تقديم الظّرف (إذا ما ينذرون) دلّ على الاختصاص الزمني أي أنّ الصم لا يسمعون تحديدًا في وقت إنذارهم ممّا دلّ على شدة الإعراض، وبلوغ العمى القلبي درجة لا رجاء فيها حتى عند اقتراب العقوبة، أي أنّ إنذارهم واقع لا محالة ولكنهم مع ذلك لا يسمعون.

**– قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ «فصلت ٢٠».**

يخصّ سياق الآية الكريمة بالحديث عن اعداء الله (عزّ وجلّ) وهم الكفار والمنافقون الذين كانوا أشد الناس كفرًا وظلمًا ونفاقًا فجاء تركيب (إذا ما) صلةً وتوكيدًا لسبب النزول، أي: جاءوا النار وعاينوها فختم الله على أفواههم ونطقت جوارحهم، آذانهم بما سمعت، وعينهم بما رأت (السمرقندي، ١٤٢٠، ٢٢٣/٣)، (القرطبي، ٢٠٠٣، ٣٥٠/١٥)، (الشوكاني، ١٤٢٤، ٥٨٦/٤).

وهذا الشيء الغريب والعجيب يتطلب بأن يأتي توكيدًا وتنبيهًا على ما سيحدث، فيجب على الإنسان الوقف عنده؛ لأنَّه يعطي إيحاءً بزمن مفاجئ حتمي ويهيئ نفس السامع بحدث خطير.

ويُلاحظ أنَّ في الآية الكريمة حذفًا مفهومًا واختصارًا بليغًا وهذا أمرٌ معجز والتقدير: حتى إذا جاءوا النار سئلوا عن كفرهم وجحودهم فأنكروا بعد أن شهدت عليهم جوارحهم بما كان يعملون في الدنيا (القيرواني، ٢٠٠٨، ٦٥٤/١٠)، أي أنَّ هذه الجوارح تعدّ من أدوات الإدراك، فجاءت بموضع الفاعل، وهذا يدلّ نحويًا على أنَّها ذات إرادة مستقلة في هذا الموضع (بتقدير الله)، تشهد على الإنسان رغم كونها في الدنيا طوع أمره.

و(ما) مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور لأنَّها تؤكد ما زيد بعدها فهي تؤكد معنى (إذا)، و(إذا) دالة على اتصال الجواب الشرط لوقوعهما في زمن واحد (الألوسي، ١٤١٥، ٣٧٦/٢).

أثبت هذا المحور أنَّ تركيب (إذا ما) في القرآن الكريم ليس مجرد تركيب نحويّ، بل هو أداة بلاغية قوية لتأكيد المعاني وتثبيت الصورة الذهنية، وإظهار المفارقات السلوكية.

كما تبيّن أنَّ دَلالته تتكامل مع السّياق لتوجيه الخطاب الإلهي بدقّة، ممّا يعكس جمال النّظم القرآنيّ وعمق معانيه.

**الخاتمة**

١. أثبت البحث أنَّ هذا التركيب له اثر بالغ العناية بوصفه تركيبًا يحمل من العمق ما لا يظهر في ظاهره، وإن ورد في مواضع محددة إلّا أنَّ له أثرًا معنويًا بالغًا لا يمكن تجاوزه في تعزيز المعنى، أو في توكيد الفعل وربطه بالسّياق متكرر أو دائم.
٢. كشفت الدراسة على أنَّ (ما) في هذا التركيب ليست مجرد حرف زائد كلما يتبادر إلى الذهن، بل هي أداة بلاغية تسهم في بناء المعنى الكلي أو تعميق العلاقة بين الشرط والجواب وتثبيت الصورة الذهنية في عقل المتلقي.
٣. تبيّن أنَّ القرآن الكريم لا يستعمل هذا التركيب إلّا في مواضع مخصوصة تتطلب دقّة عالية في التعبير لما يحمله من إيحاءات تتجاوز المعنى النحوي إلى ما هو بلاغي ونفسي، لتأكيد اختلاف المؤمنين، أو فضح حال الكافرين.
٤. دلّ البحث على أنَّ آيات (إذا ما) كلها في أحداث الدّنيا، أو أي شيء لهُ علاقة بها، ويُراد من ذلك لفت نظر الإنسان وإشعار على أنَّ ما بعد (إذا ما) تنبيهًا على نتيجة عمله.

أمّا آيات أحداث يوم القيامة فهي نهاية الدّنيا ونهاية الإنسان فلا تذكر معها (ما) لأنَّ النهاية دلّت على أي ذات تُنبّه، وأي ذات تلفت نظرها؟ لأنَّ المُخبر هو الله (عزّ وجلّ ) فلا حاجة إلى التوكيد أو التنبيه إذ هو أصدق الصادقين.

**المصادر والمراجع :**

**القرآن الكريم**

**١. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تحقيق: دار التونسية للنشر.**

**٢. ابن هشام، عبد الله بن يوسف (١٩٨٥). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الطبعة السادسة، دمشق: دار الفكر.**

**٣. ابن يعيش، يعيش بن علي (٢٠٠١). شرح المفصل. مقدمة: إميل بديع يعقوب، الطبعة. الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية..**

**٤. أبو السعود، محمد بن محمد. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. تحقيق: دار إحياء التراث العربي، بيروت: دار الكتب العلمية.**

**٤. الآلوسي، محمود بن عبد الله (١٤١٥هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية**

**٥. الأندلسي، محمد بن يوسف (١٤٢٠هـ). البحر المحيط. تحقيق: صدقي محمد جميل، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر.**

**٧. البلخي، مقاتل بن سليمان (١٤٢٣هـ). تفسير مقاتل بن سليمان. تحقيق: عبد الله محود شحاتة، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.**

**٨. الثعلبي، أحمد بن محمد (٢٠٠٢). الكشف والبيان عن تفسير القرآن. تحقيق: محمد بن عاشور، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.**

**٩. الحنفي، حقي بن مصطفى. روح البيان. بيروت: دار الفكر (دون تاريخ).**

**١٠. الدمشقي، عمر بن علي (١٩٩٨). اللباب في علوم الكتاب. تحقيق: أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.**

**١١. . الرازي، محمد بن عمر (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). الطبعة الثالثة، بيروت: دار إحياء التراث العربي.**

**١٢. الزجاج، إبراهيم بن السري (١٩٨٨). معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: عبد الجليل عبدو شلبي، الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب..**

**١٣. الزمخشري، محمود بن عمر (١٤٠٩هـ). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي. .**

**١٤. . السمرقندي، نصر بن محمد. بحر العلوم. (دون تاريخ).**

**١٥.. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (١٩٨٨). كتاب سيبويه. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة الخانجي. .**

**١٦. الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٢هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. الطبعة السابعة عشرة، بيروت: دار ابن كثير. .**

**١٧. الطبري، محمد بن جرير (٢٠٠٠). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق. : أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، بيروت: دار الرسالة.**

**١٨. القرطبي، محمد بن أحمد (٢٠٠٣). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: هشام سمير البخاري، الطبعة الأولى، الرياض: دار عالم الكتب. .**

١٩. القيرواني، مكي بن أبي طالب (٢٠٠٨). الهداية إلى بلوغ النهاية. تحقيق: مجموعة من الرسائل الجامعية، الطبعة الأولى، جامعة الشارقة: دار الشهيد بوشيخيم

٢٠. الكرماني، محمود بن حمزة. غرائب التفسير وعجائب التأويل. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية (دون تاريخ).

٢١. المرزوقي، أحمد بن محمد (٢٠٠٣).شرح ديوان الحماسة. تحقيق: غريد الشيخ، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٢. المُلقي، أحمد بن عبد النور (٢٠٠٢). وصف المباني في شرح حروف المعاني. تحقيق: أحمد محمد الخراط، الطبعة الثالثة، دمشق: منشورات مجمع اللغة العربية

٢٣. النحاس، أحمد بن محمد (١٤٠٩هـ). معاني القرآن. تحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

٢٤. النيسابوري، محمود بن أبي الحسن (١٤١٥هـ). الوسيط في تفسير معاني القرآن. تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي..

## Sources and References

## The Holy Qur'an:

1. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir ibn Muhammad (1984). At-Tahrir wa al-Tanwir (Edited by Dar al-Tunisiya).
2. Ibn Hisham, Abdullah ibn Yusuf (1985). Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib (The Enlightener's Speech from the Books of Arabic Grammar). (Edited by Mazen al-Mubarak and Muhammad Ali Hamdallah), 6th ed., Damascus: Dar al-Fikr.
3. Ibn Ya'ish, Ya'ish ibn Ali (2001). Sharh al-Mufassal (Introduction by Emile Badi' Ya'qub), 1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
4. Abu al-Sa'ud, Muhammad ibn Muhammad (Edited by Dar al-Kutub al-Ilmiyyah). Guidance of the Sound Mind to the Merits of the Wise Book. (Edited by Dar Ihya' al-Turath al-Arabi).
5. al-Alusi, Mahmud ibn Abdullah (1415). Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim wa al-Sab' al-Mathani (Edited by Ali Abdul-Bari Attia), 1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
6. Al-Andalusi, Muhammad ibn Yusuf (1420). Al-Bahr Al-Muhit (Edited by Sidqi Muhammad Jamil), 1st ed., Beirut: Dar Al-Fikr.
7. Al-Balkhi, Muqatil ibn Sulayman (1423). Tafsir Muqatil ibn Sulayman (Edited by Abdullah Mahmoud Shahata), 1st ed., Beirut: Dar Ihya Al-Turath.
8. Al-Tha'labi, Ahmad ibn Muhammad (2002). Al-Kashf wa Al-Bayan 'an Tafsir Al-Quran (Edited by Muhammad ibn Ashur), 1st ed., Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi.
9. Al-Hanafi, Haqi ibn Mustafa (n.d.). Ruh Al-Bayan (n.d.). Beirut: Dar Al-Fikr.
10. Al-Dimashqi, Umar ibn Ali (1998). Al-Lubab fi Ulum Al-Kitab (Edited by Ahmad Abd Al-Mawjoud and Ali Muhammad Awad), 1st ed., Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
11. Al-Razi, Muhammad ibn Umar (1420). Mafatih Al-Ghayb (Keys to the Unseen). 3rd ed., Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi.
12. Al-Zajjaj, Ibrahim ibn al-Sirri. (1988). The Meanings and Syntax of the Qur'an. (Edited by: Abdul Jalil Abdo Shalabi), 1st ed., Beirut: Alam al-Kutub.
13. Al-Zamakhshari, Mahmoud ibn Umar. (1409). Al-Kashaf. (Edited by: Abdul Razzaq Mahdi), (n.d.), Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.
14. Al-Samarqandi, Nasr ibn Muhammad (n.d.). Bahr al-Ulum (n.d.).

15. Sibawayh, Amr ibn Qanbar (1988). The Book of Sibawayh (Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun), 3rd ed., Cairo: Maktabat al-Khanji.
16. Al-Shawkani, Muhammad ibn Ali (1412). Fath al-Qadir (Fath al-Qadir), 17th ed., Beirut: Dar Ibn Kathir.
17. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir (2000). Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an (Edited by Ahmad Mahmoud Shaker), 1st ed., Beirut: Dar al-Risala.
18. Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad (2003). The Compendium of the Rulings of the Qur'an (Edited by Hisham Samir al-Bukhari), 1st ed., Riyadh: Dar Alam al-Kutub.
19. Al-Qayrawani, Makki ibn Abi Talib (2008). Guidance to Reaching the End. (Investigation: A Collection of University Theses), 1st ed., University of Sharjah: Dar Al-Shahid Al-Bousheikhim.
20. Al-Karmani, Mahmoud bin Hamza. ((n.d.). The Curiosities of Interpretation and the Marvels of Interpretation. (n.d.), Jeddah: Dar Al-Qibla for Islamic Culture.
21. Al-Marzouqi, Ahmad ibn Muhammad (2003). Explanation of Diwan al-Hamasa (Edited by Ghareed al-Sheikh), 1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
22. Al-Mulqi, Ahmad ibn Abd al-Nur (2002). Description of Buildings in Explaining the Letters of Meanings (Edited by Ahmad Muhammad al-Kharrat), 3rd ed., Damascus: Publications of the Arabic Language Academy.
23. Al-Nahhas, Ahmad ibn Muhammad (1409). The Meanings of the Qur'an (Edited by Muhammad Ali al-Sabuni), 1st ed., Mecca: Umm al-Qura University.
24. Al-Naysaburi, Mahmud ibn Abi al-Hasan (1415). A Brief Explanation of the Meanings of the Qur'an (Edited by Hanif ibn Hasan al-Qasimi). 1st ed., Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.